

أمثلة من الترجمة

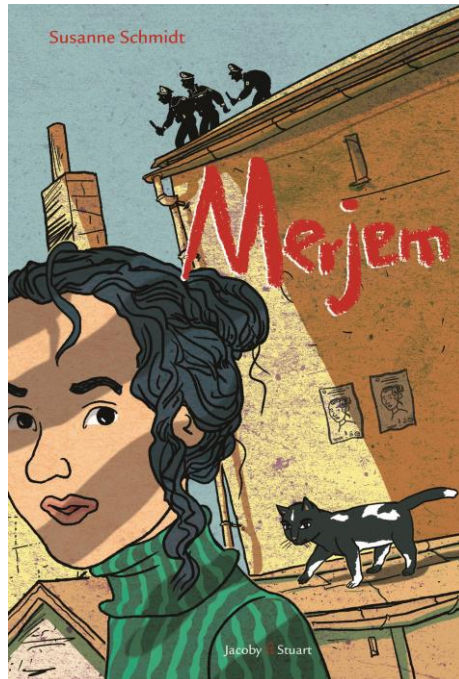
Susanne Schmidt
Merjem

Verlagshaus Jacoby & Stuart, Berlin 2016
ISBN 978-3-946-59305-8

الصفحات 4-23

سوزانه شميدت
"مريم"

ترجمة إيزيس قاسم



يعلو صوت ريش المروحة فوق لينوس وهو يقف أمام باب المروحية المفتوح. تدفع الرياح بشعره على وجهه، لكنه لا يدع المركب من تحته تغيب عن عينه؛ من خاصية البحث في منظار الكاميرا الخاصة يدقق نظره إلى أسفل. يقف على الجزء الخلفي رجلان وجههما يشبهان شخصية نيكو بيليك، بينهما حقيبة جلد بنية. الجيب المنفصل به مليون دولار وهو يريد أن يحصل على هذا المبلغ. يتم مرة أخرى سريعاً على حزام حبل القفز المطاطي المربوط بقدميه، ثم يعطي إشارة البدء للطيار. يأخذ نفساً عميقاً، حالاً سيقفز و....

هناك من يهزه من كتفه. من هذا الأبله؟ عليه أن يركز، إذا ارتكب خطأ في هذه اللحظة سيجد نفسه ميتاً كالفأر، محطماً على ظهر المركب أو مفروماً بين ريش المروحة.

"لينوس، استيقظ!"

شيء رائع ... اختفى القارب كأن الموج ابتلعه.

"لينوس، تأخرنا في النوم!"

يحاول لينوس فتح عينيه لكنه يشعر وكأن جفنيه ملتصقان بفعل مادة لاصقة بدلاً من الغماص.

يريد أن يتقلب على الجانب الآخر ولكن قبل أن يستطيع أن يتلفح بالغطاء مرة أخرى، تسحب منه أمه.

"هيا، اسرع!" تمسكه من يده وتسحبه ليقف على قدميه وتجره أمامها إلى الحمام وهي تتفادى الزجاجات وورق القمامة على الأرض في الممر.

"لماذا لا أبدأ بالحصّة الثانية ببساطة...؟"

مستحيل. عندما يتعلق الأمر بالمدرسة لا تتهاون. تفادياً للمشاكل يغسل أسنانه ويرتدي ملابسه في عشرة دقائق.

تقف بروب الاستحمام وجواربها القطنية في المطبخ وهي تغلق علبة الشطائر وتمد يدها إليه لتعطيه مفتاح البيت.

"ماذا في الشطائر؟"

"سلامي. لم يعد لدينا لحم مطبوخ."

يضع العلبة في حقيبة الظهر. السلامي ليس أسوأ من سجق الكبد.

"سلام يا ماما."

اصطدم باب الشقة من وراه بصوت عال. يهبط السلم المتهاك بثلاثة خطوات محسوبة، كل خطوة يتجاوز فيها خمس سلّمات مرة واحدة. وهو بين السلمتين يفتح الباب بعنف ... السيدة مايروكر في روبها الأسود في ذهبي وشبشب الفرو الأحمر، مؤكّد أنها كانت تنتظره وراء الباب كالعادة. تولول "ما هذا الضوضاء، ليسنا في عمارة الهوتنتوت"

كانت في السابق دائماً تقول "عمارة الزوج" لكن شخص ما في العمارة هدهدها بأنه سيكتب فيها شكوى بتوجيه إهانات عنصرية.

"أسف". يهبط السلالم التالية بالسرعة العادية ولم يعد يقفز إلا على سلمتين في خطوة واحدة؛ ثم يفتح القفل للعجلة التي كان قد ركنها في مدخل العمارة بالأمس.

تصرخ "سأبلغ عنك مسئول العمارة إذا ما تركتها هنا مرة أخرى." ثم تصدم السيدة مايروكر الباب بنفس الصوت الذي صدر عندما أغلق هو الباب. ما بهم الكبار دائموا الشكوى؟ ثم يفعلوا الشيء نفسه بالضبط!

عند دخوله لشارع المدرسة وجد الفوضى المعتادة من سيارات تصل ودراجات نارية وعجل ومشاة. الحصاة لم تبدأ بعد، أي أن الهرولة لم يكن لها داع.

ما زال أمامه وقت ... وقت يستغله في الكتابة على حائط لونه رمادي ولا يجب أن يترك رماديًا هكذا.

إنه حائط غرف تغيير ملابس التنس. يمكن الوصول إليها في دقيقة على الأقصى، ربما في دقيقتين.

من باب الاحتياط، يلتفت مرة أخرى في الشارع.

كل الناس منشغلة بالدخول إلى المدرسة.

يخرج زجاجة الرش من الحقيبة. رجة سريعة ونظرة أخرى من حوله. يخرج الرذاذ الأحمر مع صوت خفيف من العلبة ويرسم خط موج على الحائط الرمادي. تليها خطوط مموجة أخرى وتحتها نصف دائرة ونقطتين في شكل عينين ومثلث صغير في شكل أنف.

"ماذا تفعل أيها المتخلف الصغير!" لا حاجة للإلتفاف. إنه صوت السيد كارله مسئول مبنى المدرسة. طوله في طول لاعب كرة السلة ديرك نوفيتسكي، إلا إن بطنه توحى بأنه ابتلع الكرة بدلًا من رميها في السلة.

يدع لينوس زجاجة الرش تسقط من يده ويأخذ الدراجة مسرعًا من على الأرض وبعد أربع أو خمس خطوات يجلس على المقعد ويضرب بالبدايات، يمر من على حفرة في الطريق فتتزلق العجلة الخلفية في الأرض الرملية ويستطيع في آخر لحظة أن يوزن نفسه برجله اليمنى. لا تزال التهديدات التي يطلقها المسئول عن إبلاغ "الأهل... والمدير.... عمل بلاغ" تلاحقه حتى وصل الشارع. هي تهديدات معتادة من حارس عقاري.

يجري لينوس مهرولا في الشارع؛ قبل المدرسة عليه أن يفرمل فرملة كاملة، لأن سيارة توقفت أمامه مباشرة. تخرج منها دانا وتشد حقيبة ظهرها من على المقعد الخلفي.

"أهلا دانا!"

يمر لينوس بالعجلة من أمام سيارة والدها بسرعة السلحاء ويشاور لها بيده. إنها لم تسمعه أصلا أو على الأقل تتظاهر بذلك. يعدل نفسه ويربط على عجلة القيادة. يرفع العجلة الأمامية ويظل ماشيًا بالخلفية على الأرض ولكن لا يستطيع تلقائيًا هكذا ومع وجود الحقيبة في الخلف الاستمرار أكثر من ثلاثة أمتار؛ كاد أن يسقط خلفًا ويستلقى على الأسفلت أمام الجميع.

الآن لم تعد تتظاهر بعدم رؤيته، بل تنظر بعينين ساخرتين.

يركن الدراجة في العامود المخصص، ويتصارع مع القفل الذي دائما ما يتعبه عندما يكون في عجلة من أمره.

وقفت دانا مع التوأمن إيلينا وهيلينا، البلديتين، أمام باب دخول المدرسة، تستمع إليهن وهنا يختلفان حول أمر. هن دائمًا في حالة خلاف وحاليًا يدور حول إمكانية وضع طلاء أظافر اليد كذلك في أصابع الأرجل.

"ابتسموا!" تقف أمامهن ليوني وبيدها هاتف محمول جديد. لينوس يشد شفثيه بالسبابة والابهام لتبدو ضاحكة ويستعرض أسنانه المغسولة للتو. الأمر لا يثير ليوني. إنها تصور الأسنان كذلك. الهاتف المحمول جاءها كهدية من أسبوع بمناسبة عيد ميلادها، والآن لا تكف عن التقاط الصور حتى يرى كل الناس أنه الأحدث المتوفر في السوق. يأخذ لينوس حقيبته ويضعها جانبًا. إنها تزعه أياها إز عاج بهذه المظاهر.

الحصّة الأولى: لغة ألمانية. تجلس دانا في الصف الأمامي متقدمة عليه بثلاثة صفوف إلى جانب ليوني وتخرج الواجب المنزلي. يرى عقصات شعرها دون عائق لأن كل التلاميذ خفضوا رؤوسهم إلى حقائبهم.

"لينوس،... الواجب المنزلي!" تقف السيدة فيشر إلى جانبه.

تنبأ! إنه لم يستكمل الواجب... بمعنى أدق إنه لم يكتب سوى الجملة الأولى. يا ليت كان وضع الكراس على الطاولة، ربما لم تكن السيدة فيشر لاحظت أن الجزء الأكبر غير موجود. عليه أن يشغل إنتباهها بأي شيء، ولكن بماذا؟ نافذة مكسورة، عركة في حوش المدرسة أو مخلقات كلب في الممر أو مقولة تافهة معادية الأجانب مكتوبة على الصبورة. لكن لا شيء من هذا القبيل. أخذ يشرح أن الوقت لم يسعفه أن يكتب ملخصاً لأنه غرق في تفاصيل لم يستطع ترتيبها، إذ يلاحظ فجأة أن الصف الأول به مقعد فارغ.

"مريم متغيبه!" يشاور على المقعد الفارغ وصوته به نبرة إنذار حتى رفعت السيدة فيشر نظرها من الكراس لتخرج هاتفها المحمول وتساءل عن وجود إعتذار بسبب مرض لدى أمانة المدرسة. مريم ليست من الشخصيات التي تهمه بأي شكل؛ إنها من الفتيات المملة التي لا تنطق كلمة أبداً، لكن تحصل دائماً على درجات مدرسية جيدة. إلا أن غيابها اليوم مفيد بالنسبة له، ويشغل المدرسة عن موضوع الواجب المنزلي.

تحقق الهدف – بدل ما يقف لينوس على الصبورة تنادي على فين. تطلب منه إعادة كتابة الأسئلة: من؟ - أسرة، أين؟ عند البحيرة، متى – صباح يوم أحد، كل هذه المعلومات تدخل في المقدمة وكلها كانت ستكون سهلة بالنسبة للينوس. ولكن الآن أتى سؤال ماذا؟ وهنا تبدأ الصعوبة. يحاول جاهداً أن يتابع ما يكتبه فين مع صرير التباشير على الصبورة. ولكن سرعان ما يعود شعر دانا ليشتغل. عند الاقتراب تفوح رائحة القرفة منه. لقد راهن مع فين على أنه سينجح في دعوتها لتناول البوظة قبل أن يغلق المحال في فصل الشتاء. طبعاً السؤال عبر هاتف محمول أسهل، لكنه لا يملك محمولا. والدته ليست من هؤلاء الأهالي الممانعة للتكنولوجيا، ولكنها ليست طبيبة كوالدة ليوني بل تعمل في مقهى، ولذا لا يتوفر معها نقود أبداً.

إذن، عليه التصرف دون هاتف محمول. يكتب لدانا ورقة صغيرة. ربما هذا أفضل، لأنه يستطيع أن يرى إذا ما كانت قرأتها.

"لينوس، تقض عند الصبورة لو سمحت؟!"

إنها لا تبدي أي لين اليوم. ليس لديه أدنى فكرة عما يمكن أن يكتبه، إنه لم يقرأ القصة. كل ما يعرفه أنها تدور حول أسرة قامت بعمل رحلة إلى البحيرة فيقع حادث ما. ولكنها فرصة لإعطاء الورقة لدانا. ينهض في بطئ ويتوجه نحو الصبورة مروراً بمنضدة دانا، متلمساً بيده حرف المنضدة وعلى سطحها الأملس والبارد يدفع الورقة حتى يصطدم باصبعها. للحظة تقع يده على يدها. ملمسها ناعم كما لو كان لمس ظهر قطعة شوكولاته.

تسحب يدها.

ولكنه يظل واقفاً مع ذلك.

"لينوس!!!!" يدفعه صوت السيدة فيشر كالرعد نحو الصبورة.

يأخذ التباشير في يده ويقرأ ما كتبه فين على الصبورة: نزهة، الأم فرحة، أنيكا غير متحمسة، الأب لا يريد اصطحاب الكلب، لارس لا يريد المجيء بدون الكلب.

يقف في زاوية بحيث يراقب دانا. لقد أخذت الورقة بيدها.

هل تصطحب الأسرة الكلب أم لم تصطحبه؟ ماذا يكتب؟

فعلاً، دانا تقوم بثني الورقة. كيف له في هذا الظرف أن يركز في قصة غاية في الملل عن نزهة عائلية؟

إنها تقرأها. ليوني، الفضولية، تومئ رأسها وتقرأها هي أيضاً. لولا خوفها من مصادرة السيدة فيشر لهاتفها المحمول لكانت صورتها في الحال.

"رجاءً يا لينوس، إنجز!" السيدة فيشر تدع قضبتها في جنبها، كما تفعل قبل أن تنفجر غضباً.

يكتب بأبطأ ما يمكن: "إنهم يقررون اصطحاب الكلب في النهاية."

السيدة فيشر تهز رأسها ولكنها تريد أن تعرف ماذا حدث بعد وهو لا يعلم.

هناك خبط على الباب. دون انتظار دعوة للدخول، يفتح السيد كارله الباب. هيئته تسد إطار الباب كاملاً. يبحث بنظرة مفزعة في الفصل. يقلب لينوس نصف الصبورة وهو يحاول ألا يلفت النظر.

لا جدوى، فالحارس يشدها بحركة عصبية.

"إذهب للمدير بعد الحصة!" يزار ويلف ليعود مرة أخرى.

لكن السيدة فيشر لا تقبل هذا التصرف وتسد عليه الطريق. "إذا كنت ستزعج حصتي، يحق لي على الأقل أن أعرف ما الموضوع؟"

ينظر السيد كارله إلى السيدة فيشر من أعلى، وشكلها يبدو أنها نصف طولها وغالبًا أيضًا نصف وزنها. يرفع ذراعه وكأنه ببساطة يريد إزاحتها إلى جنب ثم يتنازل ليشرح... "لقد قام برش الألوان! وسوف ينظفها مرة أخرى!"

تنظر السيدة فيشر إلى لينوس وتسأله مستقصية: "هل فعلت؟"

يهز كتافه ورأسه بإماعات.

"ماذا قام برشه؟" تسأل السيدة فيشر مسئول المبنى بنبرة الصوت نفسها التي وجهت بها للينوس السؤال عن قصة الرحلة الأسرية.

نظرة السيد كارله الغاضبة تلمح سريعاً السيدة فيشر ولكن سرعان ما تعود للتخليق في لينوس.

"ماذا إذن؟" تصر السيدة فيشر دون أن تلتين.

ينزل السيد كارله عينه المحلقة عن لينوس.

"ها...؟"

تقترب السيدة فيشر منه وتسأله: "لا بد أنك متذكر ما الذي قام برشه، إذا كنت تصر على إزالته!"

السيد كارله يتذمر في حيرة ويحك رأسه من وراء أذنه.

تنظر السيدة فيشر إليه وصبرها يضيق؛ تضع قبضتها في وسطها كما فعلت مع لينوس من لحظة.

يبدو من تعبير وجه السيد كارله الأبله أنه فعلاً يحاول أن يتذكر ما الذي رشه لينوس ولكنه لا يستطيع. لربما لم ينظر عليه أصلاً.

يتضائل حجمه من متر وتسعين سنتي إلى نصف هذا الطول.

"همم" تبدو على السيدة فيشر الصرامة وكأنها سوف تقيد له درجة سيئة.

السيد كارله يبدو محرجاً وهو يحك أنفه. "هي شخبطات ليس مكانها الحائط على كل حال!" مهممًا بدون وضوح. "وعليه إزالتها!"

انتصب حتى عاد لكامل حجمه تقريباً ونظر إلى لينوس: "أراك بعد المدرسة في غرفة الملابس!"

ثم يمضي.

يعود لينوس متثاقلاً إلى مكانه. يمر من دانا فيسمع ليوني وهي توشوشها: "أقصى امكانياته جيلاتي على الواقف. في آخر رحلة لم يكن معاه شيء يقضي بها وقت الحافلة حتى."

طبعًا اختارت التوقيت بعناية حتى يسمعا.

لماذا تجلس دانا إلى جانب فتاة متابهية هكذا؟ يسقط لينوس في مقعده كأنه لعب جولتين كرة قدم زائد الوقت الإضافي. أسوأ ما في الموضوع أن ليوني محقة. في جيبه على أقصى تقدير 2 يورو. مبلغ لا يكفي لجلاتي محترم على الواقف.

يعدل الكرسي في اتجاه الممر بحيث يرى ظهر دانا بشكل أفضل إلى حد ما. ربما تلتفت للحظة خاطفة إلى الورا. ولكنها لا تحقق له هذه الأمنية. تنظر وكتفيتها مشدودتين ورقبتها صلبة إلى الصبورة وكأن الالتفات عقابه الطرد من المدرسة.

.2

يجلس لينوس إلى جانب جردل الألوان على الممر الخشبي المتهاك الذي يحيط بغرفة الملابس ويراقب وشعر الفرشاة يتشرب بلون الرمادي.

من وراه يقف السيد كارلة قريبًا منه.

يزأر "هلا أسرع؟ أتظنني أريد لساقيا أن تغرس في بطني من كثرة الوقوف حتى تصبح في قصر ساقيك؟! " وهو ينظر من أعلى لأسفل.

يخرج لينوس الفرشاة المغموسة في اللون من الجردل حتى سقطت قطرات منها على الممر الخشبي قبل أن يقترب حتى من الحائط.

يصرخ السيد كارله "إمسح الفرشاة! عليك أن تمسحها! لماذا أعطيتك هذه، في رأيك؟"

بطرف حذائه يشير إلى ممسحة صغيرة كشبكة مثبتة في الجردل. يرتدي حذاء لألعاب السلّة أبيض ناصع بالضبط كالتي تمنى لينوس أن يمتلكها. لا يجدها تليق حتى مع معطفه الرمادي. يعود لينوس الفرشاة حسب الإرشادات إلى جردل الألوان فتسقط نقطة لون رمادي على الحذاء الجديد للسيد كارله ونزلت على الخطوط الجانبية السوداء للحذاء. نظرة الحارس تنتقل في صمت من الفرشاة إلى الحذاء ثم إلى لينوس. يستنشق الهواء حتى تنفخت أجنحة أنفه في غضب. نظرته تدل على أن شئ فظيع سيحدث إن لم يدهن لينوس اللون بأسرع طريقة على الحائط.

ينهض لينوس هذه المرة بفرشاة ممسوحة. قبيل الحائط يتوقف مرة أخرى. فعلا لقد أجاد رسمة حليقات الشعر وليست فقط هذه، كذلك الأنف الصغيرة البارزة. نفذ صبر السيد كارله؛ يمسك بمعصم لينوس وبحركة عصبية يمسح على كل الخطوط الحمراء والملتوية ويعود بيد لينوس للجردل ويغمس الفرشاة في اللون الرمادي. من شدة إنفعاله ينسى مسح الفرشاة أولاً. نقط السميكة تتساقط على الممر الخشبي. أخيراً اختفى وجه دانا وعاد حائط غرفتي الملابس للونه الرمادي كما كان هذا الصباح، لكن الممر الخشبي أصبح شكله كصغير الخنزير البري الذي تمرخ في جردل الألوان. إلا أن السيد كارله لا يبدو ميالاً بهذا الأمر. المهم أن الحائط عاد للونه الرمادي. يعطي لينوس الفرشاة والشبكة ويقول له بلهجة أمره "نظفها!" ثم يغلق باب الغرفة بمفتاح قديم كبير الحجم.

ممسكًا بالفرشاة والشبكة بعيد عنه حتى لا يصبح شكله شبه الممر الخشبي، يمضي لينوس عابراً الغرفة الصغيرة الملحقة بغرفة الملابس. يضغط بكوعه على مقبض باب الحمام ويضع الأذنين في حوض الغسيل ويجري من فوقها الماء. من خلال النافذة يستطيع أن يرى ملاعب التنس، التي تبدو محزنة. الرماد الأحمر متكوم على جنب والشبكتين مفكوكتين. في فصل الشتاء تكون الملاعب مغلقة.

يلتف لينوس مرة أخرى. لقد سمع خطوات خافتة من وراه. ربما حيوان جاء مختبئاً ويحتاج للمساعدة. قد يكون كلبًا.

باب الغرفة التي بها الدشات مفتوح. يتوقف لينوس للحظة. ربما لا يكون كلب بل ثعلب أو سمور أو كائن فضائي.

ولكن لا يوجد أحد في غرفة الملابس. يوجد في منتصف الغرفة أرائك خشبية من فوقها عارضة بها عليقات وأرفف تعلق بها حقائب الرياضة. على الحوائط خزانات خضراء رقيقة حديدية. ولا أثر للكلب.

يركع لينوس حتى ينظر تحت الأرائك الخشبية. لا يوجد تحتها كلب ولكن الغريب أن الخزانات الحديدية يوجد بجانبها حقيبة ظهر لونها بنفسجي ملقاة على سيراميك الأرضية البنية. لديه إحساس بأنه رأى هذه الحقيبة من قبل. يمد يده لفتحها. على الكراسيات والكتب مكتوب اسم بالتأكد.

"لا يمكنك أن تأخذها؛ إنها لي!"

أتى الصوت من أعلى، من فوقه مباشرة. الصوت خافت لكنه أصابه بفرح كاد يكتف أنفاسه. يدير نفسه ببطء ويحاول أن يرى شئ ما في الضوء المعتم. على الخزانة الحديدية بجانب الباب تجلس سترة شتوية زرقاء، يتدلى منها شعر أسود طويل. يد تخرج من الكم الأزرق وتزيح الشعر من على الوجه.

"مريم؟!"

أصيب بقليل من الاحباط. فيعد الصدمة توقع شئ أكبر – كائن فضائي، شخصية جولم، أو هوبيت، أو على الأقل بوكيمون. لكن بدلا من ذلك لم يجد سوى بنت أقل من عادية جداً.

ماذا تفعلين هنا؟

إنها لا تجيبه.

يدقق نظره فيها. تحت السترة الزرقاء السميقة تبدو ملابس النوم ظاهرة. كثيراً ما يجد في ملابس مريم شئ من الغرابة؛ فالقطع إما كبيرة عليها أو ألوانها غير متناسقة ولكن هذه السترة كالتى وجدتها بين الملابس المستخدمة من الشارع. أما سروال النوم فلم يراها لينوس ترتديه من قبل أبداً.

"هل تغيبت عن المدرسة؟" هذه أول فكرة طرأت بباله. لم يسألها لماذا ترتدي ملابس النوم.

تشد مريم السترة الزرقاء على كتفيها ولكنها لاتزال لا تجيبه.

ينادي السيد كارله من الخارج. مريم تختفي بداخل سترتها وكأنها عباءة هاري بوتر التي تستطيع أن تختفي من بداخلها.

يصرخ لينوس: "حالا"

عند اقترابه من الباب تبدأ مريم أن تقول شيئاً.

"هل معك هاتف محمول؟"

مع أن سترتها الشتوية سميقة ترتعش.

"أنتشعرين بالبرد؟"

"معك؟" تكرر سؤالها بصوت خفيض، بدلا من الإجابة على سؤاله.

يرد عليها بـ"كلا"

"من فضلك" وهي لا تزال توشوش. "هل يمكنك أن تأتي بهاتف؟ أحتاجه لمدة خمس دقائق فقط."

"سأحاول" وهو أيضاً يوشوش. عليه الذهاب وإلا سيدخل السيد كارله إليهم.

يأخذ الفرشاة والشبكة ومن حوض الغسيل ويسرع إلى الخارج.

"إذا كررت فعلتك هذه ستصل أبويك شكوى بتدمير أملاك عامة" يصرخ السيد كارله للينوس ملخصاً له الوضع مرة أخرى وهو يغلق باب الغرفة من الخارج ويمضى من على الممر الخشبي إلى الركن على الجانب القصير من المبنى.

يفتح بابًا منخفضًا فيطبق طوله البالغ المتر وتسعين سنتي ويعلق المفتاح على العليقة.
يقف لينوس حائرًا، يفكر كيف استطاعت مريم أن تدخل إلى الغرفة المغلقة.
"ماذا بك تقف بلا هدف. تفضل من هنا!" يهبط السيد كارله الممر الخشبي محدثًا كثير من الضجيج ليحاول أن يصلح سور ملعب التنس.
يركب لينوس الدراجة وهو متردد. لا يوجد ثمة فرصة أن يدخل مرة أخرى لغرف الملابس. عليه أن يعود لاحقًا.

تسمع مريم خطوات لينوس وهي تتبعد. لقد نسيت أن تنبهه بألا يعلم أحد بوجودها هنا قط.

تستلقي على بطنها وتمسك بيديها بالحرف الأعلى من الخزانة وتحاول بالراحة أن تتزحزح من الجنب. ولكن ذراعيها حاليًا ضعفة كساقيها تمامًا. إنها لا تستطيع أن تثبت نفسها وتسقط من على الحرف فتصندم رأسها بالخزانة. الألم فظيع ولكنها لا تبكي. فقط تغطي رأسها بالسترة. لكنها لا تستطيع أن تفعل شيء حيال الصور والأصوات التي برأسها.

الخبط على باب البيت.

"شرطة! افتحوا!!!"

همهمات ... خطوات في الممر ... ثم صوت والدها.

"إني قادم.. لحظة إني قادم."

"كوكوت نا كا جوديتور، كوكوت نا كا جوديتور!" إنها والدتها؛ هي تبكي. مريم لا تستطيع أن تتذكر والدتها وهي تبكي من قبل. عندما كانت مريم تبكي أحيانًا بسبب المدرسة أو شيء ما كانت والدتها دائمًا تقول: "لا معنى للبكاء يا مريم، عليك أن تكوني إيجابية!"

الخبط على الباب يبدأ من جديد.

والدها في ملابس نومه المقلمة بخطوط زرقاء ورمادية، يأخذ المفتاح.

يفتح الباب على مصرعيه.

شرطيان بالزبي الرسمي يتجاوزانه، من ورائهما سيدة تمسك بيدها ورقة.

توجه كلامها للأب "لديك عشرين دقيقة لحزم حقائبك ثم نصطحبك إلى المطار. طيارتك إلى برستينا ستقلع في الساعة التاسعة وعشر دقائق."

"كوكوت نا كا جوديتور، كوكوت نا كا جوديتور!"

لماذا تتحدث الأم عن كوكوت طوال الوقت؟

تسمع الخطوات في الممر. تصعد مريم إلى حافة النافذة ومنها على الخزانة. تختبئ وراء علبتين كبيرتين.

يفتح الباب.

يقف أحد الشرطيين في الغرفة وينظر إلى سريره الفارغ وعليه اللحاف المكوم. من ورائه تقف أمها. يفتح الشرطي باب الخزانة وتسمعه مريم وهو يعث في الأشياء. ركبها تنتفضان. لم يجد الشرطي شيء في الخزانة. الآن يريد النظر أعلاه. يضع قدمه على حافة

النافذة. الخزانة تترج. مريم تغلق عينيها وتكتم أنفاسها، فالشرطي على بعد طول ذراع عنها، إذا ما مد ذراعه يستطيع الإمساك بها. قلبها ينبض وكأن يد من حديد حوله تضغطه. تكاد لا تستطيع أن تتنفس الهواء.

ينزلق حذاء الشرطي البني من على حافة النافذة فالحافة ضيقة على قدمه الكبيرة. يهز الصناديق الفارغة تقريبًا بعصبية ومن خلفها تحاول مريم أن تنكمش حجبًا كالسمكة الرفيعة.

يخرج من الغرفة بظهوره ويتوقف فجأة. لقد تحرك شيء ما تحت غطاء السرير. يقترب بحرص ثم يقفز مرة واحدة على السرير. نط قط مريم هانيبال مفروغًا من تحت الغطاء وهرب من النافذة.

تصرخ الأم: "مريم!! كوكوت نا كا جوديتور." لماذا لم تعد تتحدث إلا بالألمانية. إنها تفخر بمستواها في اللغة الألمانية.

تزيح مريم غطاء الرأس وتهز جسمها كالكلب الذي وقع في الماء. تريد أن تمحو الصور من ذهنها. العتمة بدأت في الخارج لكنها تخشى إضاءة النور لأنه يمكن أن يلفت النظر من الخارج. تحاول أن تفرض طولها ولكنها لا تنجح لأن رجليها لا تستطيع أن تنفذ لها رغبتها. إنها فقدت الاحساس فيهما من البرد. تحاول أن تستند على ذراعيها فبمساعدهما تنجح. تستطيع أن تصل إلى حقيبتها.

في الجيب الأمامي لا تجد سوى المقلمة التي بها أقلام الألوان التي أهدتها إليها والدتها في عيد ميلادها وكذلك مقص للورق. تخرج كل الكتب التي بالحقيبة ثم تقلبها على رأسها. تسقط منها علبة من البسكوت المملح أمام رجليها بها فتافيت صغيرة مكسرة. تفتح البلاستيك بأسنانها وتصب الفتافيت في فمها. بعض الفتافيت تقع في القصب الهوائية مما جعلها تبتلعها بالخطأ. تتعامل مع الباقية وهي أكثر حرصًا. تكبها في يدها وتلتقطها بلسانها. هذا أفضل كثيرًا في هذه الطريقة لا تذر منها شيء. معدتها تريد المزيد بعدما نفذت الفتافيت. تبحث في كل الخزانات لربما نسي شخص فيها شيء. ولكن الشيء الوحيد الذي تجده هي جوز أحذية تنس قديمة. تحاول أن تقيسها، فقد ظلت منذ البارحة بالليل بأحذية الكروكس. حذاء التنس أكبر من رجليها بأربع مقاسات على الأقل.

صوت معدتها وكان فيها دُنب كبير.

في الحمام تفتح الصنبور على الحوض وتحاول أن تجس حرارة المياه بإصبعها ولكنها تظل باردة.

تقع عينها على مجفف اليد الإلكتروني إلى جانب الحوض المثبت في الحائط. تضغط الزر الفضي وبصوت عالي يندفع الهواء الدافئ على يديها ثم على وجهها. تخلع السترة وتستلقى عليها حتى ترفع قدميها إلى المجفف. الآن فقط تشعر إلى أي مدى كانت قد تجمدت لتصبح كالقطع الثلجية. عليها أن تقوم وتعيد تشغيل المجفف خمس مرات حتى شعرت أخيرًا بالدافئ في قدميها.

فقط معدتها مازالت تقرقر.

تنتظر حتى يحل الظلام الدامس وتقف على حرف مقعد الحمام. عربة اليد لم تعد تحت النافذة ولكنها تستطيع الخروج من غيرها.

في الشارع تضئ فوانيس الشارع بضوء مصفر وكلما مرت سيارة تختفي وراء شجيرة أو سيارة مركونة. عادة لا يستغرق الطريق من المدرسة للبيت إلا ربع ساعة على أقصى تقدير ولكن اليوم يبدو الطريق وكأنه كالدهر.

كل شيء في الشقة التي سكنت فيها حتى الأمس مظلّم. والأمر فعلا يبدو وكأن كوكوت جاء ومص كل الحياة التي كانت بداخلها. تعود لتشعر بإحساس غريب على لسانها ولكنها لا تبكي. البكاء لا فائدة منه.